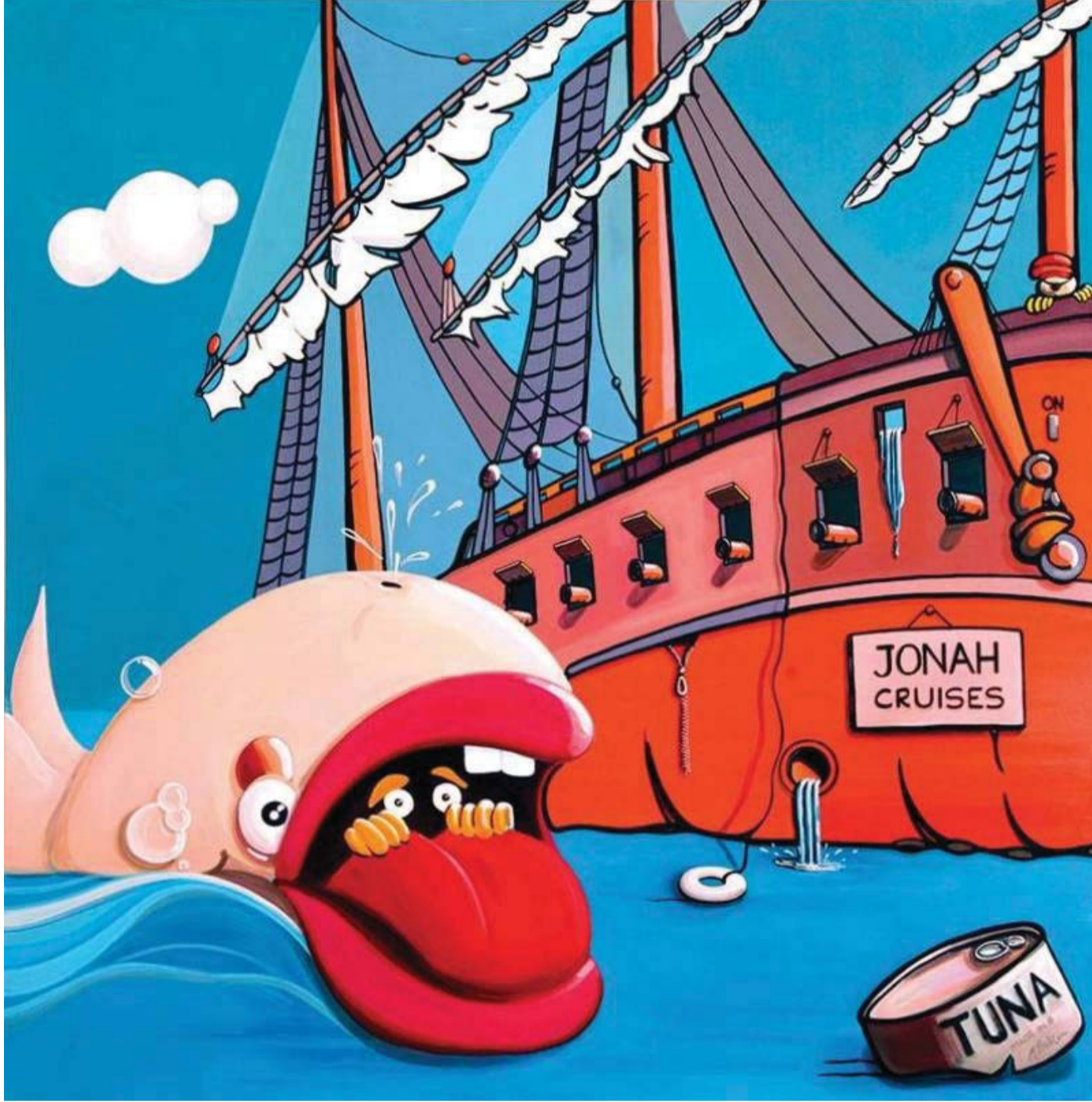


كوكب وثلاثة حيتان في لوحات تشكيلية

الفن يقف ضد عالم استهلاكي يتأسس على تقديس سلطة المال



كائن مُخبئ من جنون عالم استهلاكي (لوحة للفنان غازي باكر)



رسالة هامة داخل زجاجة النجاة (لوحة للفنان محمد خياطة)

في ظلمات حوت بطل يخوف لا يخلو من الطرافة على بحر العالم "الواحد". لو كان بإمكاننا أن نهني معرّضا يتناول هذا الجانب الكاشف لحقيقة الرياء البشري في ظل انتشار وباء كورونا عالميا لكاننا أقمناه ضامنا الأعمال بدوره قدم الفنان غازي باكر لوحة يطغى عليها اللون الأزرق يظهر فيها كائن مُخبئ من جنون عالم استهلاكي لا وضعنا له هذا العنوان الذي يليق به "أزرق كورونا".

العالم وتامره عليه. يومها قدم الفنان معرضه بهذه الكلمات المؤثرة والبسيطة بساطة وعمق عالمه الفني "عن أخي الذي ملأ قاربا بجسده، ومضى بعيدا باحثا عن أمل جديد وسط الحيتان". بدوره قدم الفنان غازي باكر لوحة يطغى عليها اللون الأزرق يظهر فيها كائن مُخبئ من جنون عالم استهلاكي لا يقيم وزنا لإسالة المال الفاضلة. كائن

الثالث فهو اللبناني غازي باكر ولوحته البحرية التي تحمل اسم "يونس". في حالة الفنانة عزة أبو ربيعة الصوت هو الحكواتي الذي أوكلت إليه مهمة سرد صفحات من تجربتها في وطنها المازوم ومن ضمنها تجربة الأسر التي عانت فصولها هي والعديد من النساء في سجون النظام السوري، لكنه، أي الصوت، هو المنتشر في جميع أعمالها كرمز سحري للخلاص وللأسر على السواء وإن لم يكن حاضرا بكتلته الزرقاء.

وتسرد الفنانة قصة هذه اللوحة قائلة إنها "تجسد حلما راودها"، فبينما كانت هي وصديقاتها ينتظرن إخلاء السبيل حملت بحوت كبير يزورهن في مهجعهن، ويحملهن على ظهره إلى الحرية.

ويبرز هذا الصوت "الكوني" قادرا بالرغم من غيابه المتظاهر بشفافية جسده الذي غرقت فيه الفنانة أرجل أسرة السجن التي استلقت عليه هي والعديد من السجينات أن ينتشلها هي وقصتها الفردية/الجماعية إلى شكل حياة جديدة في بقاع أرض جديدة نصبت جدرانها العازلة بوجهها.

وقد كتبت الفنانة عن لوحتها تلك وسائر أعمالها التي قدمتها في صالة بيروتية "لا أريد للجيبيل الذي يليقني أن يطفو بلا ذاكرة، كتبت على حائط مرسمي الحالي في بيروت: إن لم أرسم فلا معنى لوجودي، ساسجل ما عشت، وأترك هذا الأثر في أعمال الحفر.. في مرسم ليس بمرسمي وفي شقة ليست بشقتي"، كلام يعيد اختراع منطق العالم الواحد من نافذة إنسانية حقيقية.

أما الفنان محمد خياطة فـ"حوته" المنقذ والأخذ به بعيدا عن أهوال الحرب فيجيء في لوحة رائعة له على شكل مرطبان فيه رأسان يقبعان في ماء هما مصنوعان منه. ويذكرنا هذا العمل بالرسالة الهامة داخل زجاجة النجاة بعد أن رماها البحار الذي قفقته الأمواج إلى شاطئ جزيرة منسية في البحر.

كائن مرطبان محمد خياطة هو "يونس" من نوع آخر يخبئ من هول

استمر التواصل والتشارك من خلال "الاختلاف"، الاختلاف في الواجهة والاختلاف في الرؤية. وفي ذلك دليل قاطع على أن الاختلاف ومنطق "البلد الآخر" هو حاجة ملحة لن يستطيع البشر التخلي عنها رغم المساعي المستميتة "لقتل الآخر" تحت شعار "العالم قرية واحدة".

هذا العالم الحامل لشعار الانفتاح على الآخر في ظل العولمة الماحقة للهويات الخاصة بالدول الأقل قوة، يمارس أقسى أنواع العزل بعدم استقبال، وبرحابة النية الصافية، الآخر المخدوع الذي يريد أن يعيش تجربة "المواطن العالمي" التي تتجبح بها الدول العظمى.

ضد الرياء

تذكر على سبيل المثال وليس الحصر ثلاثة أعمال فنية شديدة الاختلاف ظاهريا ومتصلة ببعضها البعض عضوا لثلاثة فنانين شديدي الاختلاف ينتمون إلى منطقتنا العربية. يمكن اعتبار لوحاتهم، وكما ذكرنا آنفا، استشرافا وصدى استباقيا لانتشار الوباء العالمي الفاضح لازدواجية معايير الانفتاح على الآخر.

هناك تناقض قائم ما بين شعار العالم قرية صغيرة وشعار "لن يمرؤا"، في إشارة إلى منع المهاجرين البؤساء من مغادرة بلدانهم

هؤلاء هم: الفنانة التشكيلية السورية عزة أبو ربيعة ولوحتها الرائعة التي يطغى عليها اللون الأزرق ويطلها حوت رمادي يميل إلى الزرق، والفنان السوري الجنسية محمد خياطة من خلال مجمل لوحاته "الزرقاء" ولوحته التي يرسم فيه مخلوقه الرقيق وهو حامل لمرطبان يمكث بداخله شخص مغطى بماء البحر لإراسه. أما الفنان

في الأزمات التي تتعرض لها البشرية سواء الحروب أو الكوارث أو الهجرات أو غيرها، يرافق الفن والإبداع الإنسان في رحلته ويكشفنا له الطريق ويحميانه من النكوص والعدم. الفن ليس ترفا جماليا ولا هو بوجه واحد، إنه وجوه متعددة لا حصر لها، ولكن جوهرها واحد، هو الإنسان والإنسانية، فلأجل الإنسان ولدت الفنون وله تبدل نفسها. وما شهدناه من أحداث أخيرة متعلقة بتبعات وباء كورونا أو مواقف العنصرية وتفاعل الفن معها، أبرز دليل على ذلك. فمهما اشتد الخناق على الإبداع والمبدعين ومهما تشيئا العالم والحياة البشرية، فإن الفن يقف دائما في ضفة أخرى، ضد كل ما من شأنه أن يمس بالجواهر الإنساني، ولو كان الإنسان ذاته.

مُرْسَج لأن يفضح كذبة كبيرة متجسدة في هذا القول "العالم قرية صغيرة" من خلال الإضاءة على التناقض القائم ما بين شعار العالم قرية صغيرة وشعار "لن يمرؤا"، في إشارة إلى منع المهاجرين البؤساء، الذين فرضت عليهم حياتهم المساوية والتي هي في جزء كبير منها نتيجة لجشع الدول العظمى، من اللجوء إلى هذه البلدان.

الاختلاف في المواجهة

كما في كل ظاهرة أو أزمة أو تضيق حياتي يحضر الفن التشكيلي ليقدّم عبر فنانيه من كل العالم أفاقا مفتوحة تحرك الخيال وتشير إلى مواقع الجراح وأسبابها ونتائجها.

وبالطبع، يختلف المستوى الفني باختلاف الأعمال الفنية وقدرتها على عكس الواقع والذهاب به إلى أبعد مما هو عليه.

من هذه الأعمال ما ظهر خلال مرحلة تفشي الوباء وقوانين الحجر الصحي لفنانين عرب وأجانب، ومنها، وهو ربما الأهم، ما ظهر قبل أزمة الوباء بكثير وعبر عن التمزقات في النسيج الإنساني وتفشي الكذب المعقّل وتعاظم الرياء السياسي المتمثل في قبول الاختلاف والانفتاح على الآخر بشكل صوري.

هذه الأعمال الفنية هي التي من جانب تعبيرها عن أزمات أنية مرتبطة ارتباطا وثيقا بظروفها كانت صدى استباقيا، إذا صح التعبير، لانتشار الوباء العالمي الفاضح بشكل كامل وعلى مختلف المستويات ما أصاب العالم المعاصر من أزمات، وازدواجية خطيرة للمعايير.

إنه جسّد العالم يستعرض تمزقاته أمام ساكنيه وخاصة أمام من يملك منهم سلطة عليه من خلال المال والتقدم التكنولوجي.

جسد سبق أن سجّاه فنانون كثر من العرب، ولأسيما من الشرق الأوسط المكروب منذ نشوء الكيان الإسرائيلي. منهم من جاءت أعماله لتكشف انعدام العدل وطغيان الخبث عبر إشارتهم، وبطريقة غير مباشرة، بأنه شتان ما بين الجدران العنصرية والحدود الحامية لغنى الهويات واختلافها.

وفي هذا السياق أثبتت أزمة كورونا أنه بالرغم من كون الوباء عالميا وله دلائل وجود واحدة

وسيل معالجة واحدة

ما زالت إلى اليوم غير واضحة، فإن الحكومات اختلفت في

قوانين مواجهتها وعلاجها مع

الاستفادة من تجارب

الحكومات الأخرى في التعامل مع الوباء.

وفي حين لعب دور إيقاف

الرحلات من بلدان

إلى أخرى بهدف العزل

الصحي لكل بلد

عن سائر البلدان،

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

ورد خبير خلال فترة انتشار وباء كوفيد - 19 في الولايات الأمريكية أن السلطات المكسيكية شددت المراقبة على حدودها مع الولايات الأمريكية وطلبت منها منع الفارين من انتشار الوباء الدخول إلى أراضيها.

والفارقة هنا تكمن في أن الولايات المتحدة اتحفت العالم قبل ذلك بكثير، بنصبها جدارا أمام المكسيكيين الهاربين إليها من الفقر.

سيناريو المفارقة

منذ أكثر من شهر ذكرت عدد من المصادر الإعلامية أن الكاتب والمخرج السينمائي الإسباني دافيد روبريغز تروبا كتب سيناريو خياليا عن أوروبا المتكوية ما بعد اجتياح كوفيد - 19 سلط فيه الضوء على أزمات بدأت قبل انتشار الفيروس بكثير. الفايروس الذي بات اليوم، ويحد ذاته، عنوانا لحقيقة تاريخية شهدت وستشهد تبدلات جذرية في كل دول العالم وعلاقتها مع بعضها البعض.

من تلك الأزمات نذكر للجوء والهجرة الشرعية وغير الشرعية ونصب الحدود أمام المهاجرين العرب والأفارقة ولأسيما الجزائريين.

يختلف المستوى الفني باختلاف الأعمال الفنية وقدرتها على عكس الواقع والذهاب به إلى أبعد مما هو عليه

تخيل الكاتب تفشي الوباء بشكل خطير في الدول الأوروبية إلى درجة أن المواطنين توجهوا جماعات نحو دول أخرى، أثبت أنها الأقل إصابة بالفايروس، رغم أنها الأقل التزاما بقوانين التباعد الاجتماعي.

ويختلف كاتبي السيناريو إلى سرد

انقلاب الأدوار بالتفصيل. فالدول

الواقعة في شمال

أفريقيا والشرق

الأوسط باتت هي

التي تقف في وجه

مرور الأوروبيين

نحو أراضيها برا

وبحرا، وذلك من

خلال الحواجز

المرفوعة وجدران

العزل والبنادق المصوبة إلى قوارب

الهجرة وإلى كل من حاول

الوصول إلى شواطئها

والدخول إلى أراضيها

الخيالية أو شبه الخيالية

من الوباء في زمن

ستتقرض فيه الحياة

البشرية، وفق سيناريو الكاتب الإسباني.

من المتوقع أن يحول الكاتب السينمائي هذا السيناريو إلى فيلم، ويمكننا القول إنه مرشح لإلقاء الضوء ليس فقط على

انقلاب الأدوار والمعاني الإنسانية المنبثقة منه، ولكنه أيضا